

رِبْدَالٌ
هُنَّ
مُعَاوِلَةٌ
اللَّهُ سَلَامٌ



تأليف

محمد بن زير



خامس الراشدين

عُثْرَبْنَ عَبْدِ الْغَزِيزِ

مؤسسة الرسالة

خَامِسُ الرَّاشِدِينَ

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

يُحَارِي الباحث في سيرة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
لتحديد مجال عظمته أو بطولته .

هل تَتَجَلَّ عظمته في عدله ، بعد ضياع العدل في الدولة
عشرات السنين ؟

أم تَتَجَلَّ في زهده ، وهو حاكم أكبر دولة في العالم
حيذاك ؟

أم تَتَجَلَّ في عودته بنظام الحكم إلى تصوره الإسلامي
الصحيح ، وحتى كان صورة صادقة للحاكم المسلم ، وترجمة
عمليةً لبادئ الإسلام ، ودليلًا واضحًا على مدى ما يصنعه
الإسلام في النفس والمجتمع ، متى وُجِدَ الحاكم المؤمن الصالح ،
والتطبيق السليم ؟

إن عظمته أو بطولته تَتَجَلَّ في ذلك كله ، ولكنها تَتَجَلَّ
أبرز ما تكون في ذلك الانقلاب الهائل ، الذي أحدثه في
نفسه ، وفي حياته ، وفي المجتمع منذ أول يوم تولى فيه خلافة
المسلمين .

ولكَيْ ندرك مدى ذلك الانقلاب، لا بد من إلقاء نظرة خاطفة على الانحراف الذي أحدثه خلفاء بني أمية.

لقد بدأ الانحراف عن منهج الخلافة الراسدة بعد استشهاد علي بن أبي طالب، واستقرار الأمر لمعاوية بن أبي سفيان، وابتداعه ولادة العهد، واستخلافه ولده يزيد، وأخذ البيعة له.

والقول في معاوية وابنه يزيد، هو ما قاله معاوية الثاني، الذي استخلفه أبوه يزيد قبل موته، فقد جمع الناس بعد موت أبيه وخطبهم قائلاً:

إن جدّي معاوية، نازع الأمر أهله ومنْ هو أحق به منه لقرباته من رسول الله، وسابقته في الإسلام، وهو علي بن أبي طالب.

ثم تقلد أبي «يزيد» الأمر من بعده، فكان غير أهل له.. ركب هواه وأخلفه الأمل.

ولأن من أعظم الأمور علينا، علمنا بسوء منقلبه، وقد قُتل عتره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأباح الحرام، وخرب الكعبة.

وَمَا أَنَا بِالمُتَّقِلْدِ أَمْرَكُمْ، وَلَا الْمُتَحْمِلُ تَبَعَّاتُكُمْ.. فَاخْتَارُوا لِأَنفُسِكُمْ..

وبعد رفضه الخلافة، تولى الأمر مروان بن الحكم الذي مات بعد عشرة شهور، فتولى ابنه عبد الملك بن مروان..

وأتسعت دائرة الانحراف في هذا العهد، وتكتفي خطبة الحجاج، الذي ولأه عبد الملك إمارة العراق، صورة لذلك الانحراف.. وصل الحجاج إلى العراق بعد أن رمى الكعبة بالمنجنيق، وقتل عبدالله بن الزبير ومثل به، فما وصل العراق حتى خطب خطبته المشهورة فقال:

إني لأرى رؤوساً قد أينعت، وحان قطافها، وإنني لصاحبها.

ولكاني أنظر إلى الدماء بين العيام والمحى، قد شمرت عن ساقها تشميراً.

وقسماً بالله، لاخذن الولي بذنب مولاه، والمقيم بذنب الطاعن، والمطيع بذنب العاصي، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول: أفع سعداً فقد هلك سعيد..

وعامل آخر من عمال بني أمية هو أسامة التنوخي، وكان على خراج مصر في عهد سليمان بن عبد الملك، يقول عنه ابن عبد الحكم: إنه كان غاشياً، ظلوماً، مسرفاً في العقوبات بغير ما أنزل الله، يقطع الأيدي، ويلأ أجوف الدواب بأشلاء ضحاياه، ثم يطرحها للناسيج.

ورث عمر بن عبد العزيز هذه الدولة المُنَقْلَة بالقهر
والسلطان والفساد، ليُعِدَّ سيرتها الأولى في عهد الخليفة
الراشد.. ويُحدَّد منهجه في الحكم بهذه الخطبة:

«... لقد سَنَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَلْفاؤُهُ مِنْ
بَعْدِهِ سَنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا اعْتِصَامٌ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَقُوَّةٌ لِدِينِ اللَّهِ،
لَيْسَ لِأَحَدٍ تَبْدِيدُهَا وَلَا تَغْيِيرُهَا، وَلَا الرُّكُونُ لِأَمْرِ خَالِفَهَا..
مِنْ اهْتَدَى بِهَا فَهُوَ الْمُهْتَدِي.. وَمِنْ اسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ
الْمُنْصُورُ.. وَمِنْ قَرَّكَاهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَاَهُ اللَّهُ مَا
تَوْلَى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

إِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيًّا، وَلَيْسَ بَعْدَ الْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ
عَلَيْهِ كِتَابٌ.. فَمَا أَحْلَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ.. وَمَا حَرَمَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ.

أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ بِقاضٍ إِنَّمَا أَنَا مُنْفَذٌ.
وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ.
وَلَسْتُ بِمُخْبِرٍ كُمْ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ، غَيْرُ أَنِّي أُنْقَلِمُ حَلَالًا.

* * *

أما إحساسه بمسؤوليته عن الأمة، فيتضح مما ترويه
زوجته فاطمة بنت عبد الملك:

«دخلت عليه يوماً وهو جالس في مصلاه، وأضعافاً خده

على يده ، ودموعه تسيل ، فقلت له : ما بالك ، وفيم بكاؤك ؟
فقال : ويحك يا فاطمة ، إني قد وليت من أمر هذه الأمة
ما وليت ، ففكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ،
والعاري المجهود ، واليتم المكسور ، والمظلوم المقهور ،
والغريب والأسير ، والشيخ الكبير ، والأرملة الوحيدة ، وذي
العيال الكثير والمال القليل ، وأشباحهم ، في أقطار الأرض
وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم
القيامة ، وأن خصمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم ،
فحذرت ألا يثبت لي خصومته في صمت نفسي فبكى .

* * *

وكتب إليه واليه على خراسان ، يستأذنه في استعمال
العنف مع رعيته ، لأنهم - كما قال في رسالته - لا يُصلحهم
إلا السيف والسوط .

فرد عليه عمر :

كذبت .. بل يصلاحهم العدل والحق . فابسط ذلك فيهم ،
وأعلم : أن الله لا يصلاح عمل المفسدين .
نعم . لقد أغلق عمر باب السيف والسوط فأنهى عهدها ،
وببدأ عهد الحق والعدل ، ويزع إصراره على ذلك في قوله :
والله لو لم ينهض الحق ويدحض الباطل إلا بتقطيع

أوصالي وأعضاي ، لأمضيت ذلك فأنا سعيد .. ووالله لو
لبشت فيكم خسین عاماً ، ما أقمت إلا ما أريد من العدل .

* * *

بواکیر الرشد :

وُلد عمر بن عبد العزيز في سنة إحدى وستين في
حلوان ، وكان أبوه عبد العزيز بن مروان واليَا على مصر في
عهد أخيه عبد الملك بن مروان ، وقد تَبَثَ واليَا عليها
عشرين عاماً .

يقول المخاطب ابن كثير في كتابه عن عمر : دخل عمر بن
عبد العزيز إلى اصطبل أبيه ، فضربه فرس قَشْجَه ، فجعل
أبوه يمسح الدم عنه ، ويقول : إن كنت أشج بني أمية ، إنك
إذن لسعيد .

ولقول عبد العزيز بن مروان هذا ، قصة ، فقد رُوِيَ أن
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رأى ذات ليلة رُؤْياً ، فقام من
نومه يقول :

من هذا الأشج من بني أمية ، ومن ولد عمر ، يُسمى
عمر ، يسير بسيرة عمر ، ويلأ الأرض عدلاً !
وهكذا نشأ عمر بن عبد العزيز تَحْوَطَه هذه الرؤيا أو

البشرى، كما قال له أبوه: إن تكون أشجع بني أمية، إِنك
إذن لسعيد.

* * *

قيل إن أمراء بني أمية بعثوا إلى عمر بن عبد العزيز
بأحد أصحابه، يرجوه أن يرفع لهم العطاء.. وكان قد
أرسل لكل منهم مبلغاً من المال، وجدوه قليلاً لا يكفي
 حاجتهم، فقال عمر لهذا الصديق:

والله لقد ندمت على هذا الذي أعطيته لهم، وإني لأعلم
أن في المسلمين منْ هو أحق به، وأحوج إليه منهم.
فعاد إليهم يقول:

يا بني أمية.. لا تلوموا إلا أنفسكم، فقد عَمِدْتُم إلى
صاحبكم - عبد العزيز بن مروان - فزوجتموه حفيدة عمر
بن الخطاب، فجاءكم بعمر بن الخطاب، ملفوفاً في ثياب عمر
بن عبد العزيز. فلا تلوموا إلا أنفسكم.

أما قصة هذا الزواج، فقد كان من عادة أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب أن يطوف في المدينة ليلاً يتفقد شؤون
رعيته، وذات ليلة طال به المطاف، فاستند إلى جدار بيت
ليستريح، فسمع داخل البيت امرأة تقول:
يا بنتاه، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فقد أصبحنا.

فقالت البنت: أَوْمَا عَلِمْتَ يَا أَمَاهَ بِأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟
لَقَدْ نَادَى مَنَادِيهِ فِي النَّاسِ: أَلَا يُخْلِطُ اللَّبَنَ بِالْمَاءِ.

فقالت المرأة: قَوْمِي يَا ابْنَتِي فَامْذُقْهُ، فَإِنَّكَ بِعَوْضٍ لَا
يَرَاكَ فِيهِ عَمْرٌ، وَلَا مَنَادِي عَمْرٌ.

فقالت الفتاة: يَا أَمَاهَ، مَا كُنْتِ لِأَطْبِعِهِ فِي الْمَلَأِ. وَأَعْصِيهِ
فِي الْخَفَاءِ. وَإِنْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَرَانَا، فَرَبُّ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ يَرَانَا.

وسمع عمر الحديث وطلب من مولاه أسلم أن يميز
البيت، ويعرف موضعه، لينظر في الصباح من الفتاة ومن
أمها. وفي الصباح، أخبره أسلم أن الفتاة من بني هلال،
تعيش مع أمها في بيت صغير، بعد أن توفي أبوها، وهذا
يعملان في بيع اللبن.

وكان عاصم أحب أبناء عمر إلى قلبه، لم يتزوج بعد،
ولو شاء عمر لخطب له بنت أعظم ملوك الأرض، ولكنه
اختار له هذه الفتاة الفقيرة لخُلُقِّها ونُبُلِّها وتقوتها. وجاء
من هذا الزواج المبارك بنت سُيَّسَةَ لِيلَى، وكانت تُعْرَفُ
بِأَمِّ عَاصِمٍ، كما عُرِّفَتْ بِالْفَقْهِ وَرِوَايَةِ الْمَدِيدِ وَالْزَّهْدِ
وَالْعِبَادَةِ.

وأراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج فقال لفتيمه:

اجمع لي من طيب مالي ، فإني أريد أن أتزوج إلى أهل بيتهم صلاح .. ثم خطب ليلي وتزوجها ، وهي أم عمر بن عبد العزيز .

* * *

قال نعيم بن حاد بسنته؛ أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير . فبلغ أمه ، فأرسلت إليه ، فقالت: ما يبكيك؟

قال: ذكرت الموت .
فبككت أمه .

وكان قد جمع القرآن وهو صغير .

* * *

وقال الزبير بن بكار: حدثني العقي ، قال:
إن أول ما استثنى من رشد عمر بن عبد العزيز ، حرصه على العلم ، ورغبته في الأدب .. إن أباه ولد مصر ، وهو حديث السن يُشك في بلوغه . فأراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام فقال: يا أبا .. أو غير ذلك لعله يكون أفع لي ولك؟ قال: وما هو؟ قال ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهائها ، وأتأدب بآدابهم .

فعمد ذلك أرسله أبوه إلى المدينة ، وأرسل معه الخدام ، فقعد مع مشايخ قريش ، وتحجب شبابهم ، وما زال ذلك دأبه

حتى اشتهر ذكره، فلما مات أبوه أخذه عمهُ أمير المؤمنين
عبد الملك بن مروان، فخلطه بولده، وقدّمه على كثير منهم،
وزوجه بابنته فاطمة. وهي التي يقول فيها الشاعر

بنت الخليفة وال الخليفة جدها

أخت الخليفة وال الخليفة زوجها

قال: ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها.

★ ★ *

وقال الضحاك بن عثمان الخزامي: كان أبوه قد جعله
عند صالح بن كيسان يُودبه.. فلما حج أبوه اجتاز به في
المدينة، فسأله عنه، فقال:

ما خبرت أحداً، الله أعظم في صدره من هذا الغلام.
وروى يعقوب بن سفيان، أن عمر بن عبد العزيز تأخر
عن الصلاة مع الجماعة يوماً، فقال صالح بن كيسان: ما
شغلك؟

فقال: كانت مرجلتي تسكن شعري.

فقال له: قدمت ذلك على الصلاة؟

وكتب إلى أبيه - وهو على مصر - يعلمه بذلك. فبعث
أبوه رسولاً، فلم يكلمه حتى حلق شعره.

★ ★ *

وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله ، يسمع منه ، فيبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص علياً ، على عادة بني أمية في الطعن في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - ، فلما أتاه عمر أعرض عبيد الله عنه ، وقام يصلي فجلس عمر ينتظره ، فلما سلم أقبل على عمر مغضباً ، وقال له :

متى يبلغك أن الله سخط على أهل بدر ، بعد أن رضي عنهم ؟

قال : ففهمها عمر ، وقال :

معدرة إلى الله ثم إليك ، والله لا أعود .

قال : فما سمع بعد ذلك يذكر علياً إلا خير .

* * *

وقال داود بن أبي هند :

دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب ، وأشار إلى باب من أبواب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل من القوم : بعث الفاسق لنا بابنه هذا ، يتعلم الفرائض والسنن ، ويزعم أنه لن يموت حتى يكون خليفة ، ويسيئ بسيرة عمر بن الخطاب .

قال داود: ووالله ما مات حتى رأينا ذلك فيه.^(١)

★ ★

هذه بعض حواتب طفولة عمر بن عبد العزيز .
وهي طفولة تُنبئ بنشأة إنسان عظيم .

طفولة فيها بواكيير الرشد والسداد ، ودلائل إيمان عميق ،
وفطرة سليمة ، وبشائر كل ما أتى به في خلافته من عظيم
الأعمال .

طفولة يقول عنها عمر : لقد رأيتني بالمدينة غلاماً مع
الغلبان ، ثم تاقت نفسي للعلم ، فأصبحت منه حاجي .

ويقول عنها فقيه المدينة ، معلمه صالح بن كيسان : ما
خَبِرْتَ أَحَدًا ، اللَّهُ أَعْظَمُ فِي صُدُورِهِ ، مِنْ هَذَا الْغَلَامِ .

طفولة تتطلع إلى القدوة التي تجمع بين العلم والفقه
والورع : عبدالله بن عمر بن الخطاب .. فهو يقول لأمه :

تعلمين يا أماه ، لا تكونن مثل خالي عبدالله بن عمر .

هذه طفولة نادرة ، فيها كل جذور خصائصه وعزّ ماته
التي تجلّت في خلافته الراسدة .

★ ★

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير .

الأمير الشاب:

نتأمل طفولة وشباب عمر بن عبد العزيز ، فكأنما نرى إنساناً يُضئ على عين الله تعالى ، ليكون معجزة من معجزات الإسلام .. ولن يكون حجّة دامغة ، ودليلًا عملياً على أولئك الذين يزعمون: أن الإسلام لم يُطبّق تطبيقاً سليماً ، إلا في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة .. جاء عمر في نهاية القرن الأول الهجري ، فكان خامس الراشدين ، فأعلن للدنيا أن دولة القرآن يمكن أن تقوم ، وأن الإسلام صالح للتطبيق ، قادر على العطاء ، وأن عهد الخلفاء الراشدين يمكن أن يستمر ويُتّبع في كل زمان ومكان .

نشأ عمر أميراً من أمراء بني أمية ، في جو حافل بالترف والماهيج وزخرف الحياة ، فأبوه عبد العزيز بن مروان أحد أقطاب بني أمية ، وأخ الخليفة عبد الملك بن مروان ، وحاكم مصر ، وكان رجلاً مُترفاً كريماً صالحاً ، وقد ورث عمر عن أبيه من الأموال والممتلكات والدواب ، ما لم يرثه غيره ، وبلغ إيراده السنوي ما يربو على الأربعين ألف دينار ، وتزوج وهو في سن العشرين فاطمة ، بنت عمّه الخليفة عبد الملك بن مروان .

ولما ولي الوليد بن عبد الملك ، ولاه المدينة ومكة

والطائف ، من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاثة وعشرين ، وهو في الخامسة والعشرين ، وأقام للناس الحجّ سنة تسع وثمانين وسنة تسعين ، وحجّ الوليد بالناس سنة إحدى وعشرين ، ثم حجّ عمر سنة ثنتين أو ثلاثة وعشرين .

وبني في مدة ولايته هذه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ووسعه ، فدخل فيه قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كان في هذه المدة من أحسن الناس معاشرة ، وأعد لهم سيرة .

وكان المسلمون يضجّون بالشكوى من ظلم ولاة الأمصار ، وقد رُوي أنه ذُكر عند عمر بن عبد العزيز ظلم الحجاج وغيره من الولاية أيام الوليد بن عبد الملك ، فقال :

الحجاج بالعراق ، والوليد بالشام ، وقرة بن شريك في مصر ، وعمان بالمدينة ، وخالد بمكة ، اللهم قد امتلأت الدنيا ظليماً وجوراً ، فأرجح الناس .

فإذا عهد إليه الوليد بولاية الحجاز ، قال له عمر :

إنك استعملت منْ كان قبلِي ، فأنا أحب ألا تأخذني بعمل أهل العداوة والظلم والجور ..

فقال له الوليد :

— إعمل بالحق ، وإن لم ترتفع إلينا درهاً واحداً .

من هنا كانت ولاية عمر بن عبد العزيز على الحجاز يُهنا
وبيركته، أحسن الناس فيها بالأمن والطمأنينة.

وأول ما فعله عمر في المدينة، أن اتخذ له مجلس شورى
من عشرة من كبار فقهاء المدينة، هم: عروة وعبد الله بن
عبد الله بن عتبة وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن
هشام، وأبو بكر بن خيثة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن
محمد بن حزم، وسالم بن عبد الله، وعبد الله بن عامر بن ربيعة،
وخارجة بن زيد بن ثابت.

فجمعهم وقال لهم:

إني دعوتكم لأمر تُؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً لي
على الحق.

أناشدكم الله، إن رأيتم عدواً أو باطلًا، إلا أبلغتموني
أمره. وأرشدتموني إلى الحق.

وكان لا يقطع أمراً بدونهم.

وكان الفقهاء قد قاطعوا الخليفة والولاة، وصبروا
أنفسهم مع العلم والعبادة، فلما جاء عمر إلى المدينة فرحوا
بولايته، وقبلوا معاوته في حُكمه، لما يعلمون من عدله
واستقامته وتقواه، وكان على رأس فقهاء المدينة سعيد بن
المسيب، فكان عمر لا يخرج عن قوله ..

وَحَدَّثَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزَ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى سَعِيدٍ
بْنِ الْمُؤْلَكِ عَنْ مَسَأَةٍ، وَكَانَ سَعِيدٌ لَا يَأْتِي أَمْبِيرًا وَلَا خَلِيفَةً،
فَأَخْطَأَ الرَّسُولُ فَقَالَ لَهُ: الْأَمْبِيرُ يَدْعُوكَ، فَقَامَ إِلَيْهِ مِنْ وَقْتِهِ،
فَلَمَّا رَأَاهُ عُمَرُ قَالَ لَهُ: عَرَضْتَ عَلَيْكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِلَّا رَجَعْتَ
إِلَى مَجْلِسِكَ حَتَّى يَسْأَلَكَ رَسُولُنَا عَنْ حَاجَتِنَا، فَإِنَّا لَمْ نَرَسْلَهُ
لِيَدْعُوكَ، وَلَكِنَّهُ أَخْطَأَ، إِنَّا أَرْسَلْنَاهُ لِيَسْأَلَكَ. وَلَمْ يَرِدْ سَعِيدٌ
أَنَّهُ يَسْعَهُ التَّخْلُفُ عَنْهُ.

جاء في سيرة ابن عبد الحكم:

ثُمَّ وَلَيَّ عُمَرُ الْمَدِينَةَ، فَسَارَ بِأَحْسَنِ سِيرَةِهِ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ
يَعْصُفُ رَجْهُهُ، وَيَرْخُي شَعْرَهُ، وَيَسْبِلُ إِزارَهُ، وَيَتَبَخَّرُ فِي
مِشْيَتِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَطْعَنُ عَلَيْهِ فِي بَطْنٍ وَلَا فَرْجٍ وَلَا
حَكْمٍ.

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكَ: مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمامَ أُشْبِهِ بِصَلَاةِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْفَتَنِ - يَعْنِي عُمَرَ بْنَ
عَبْدِ الْعَزِيزِ -، حِينَ كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ.

وَيُعْتَبَرُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزَ مِنْ عُلَمَاءِ الْتَّابِعِينَ، يَقُولُ
بِعَاهْدِهِ: أَتَيْنَا عُمَرَ نُعَلِّمُهُ، فَهَا تَرَخَّنَا حَتَّى تَعْلَمَنَا مِنْهُ.

وَيَقُولُ مِيمُونُ بْنُ مَهْرَانَ: كَانَتِ الْعُلَمَاءُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ تَلَامِذَةً... كَانَ مَعْلُومَ الْعُلَمَاءِ.

وقال الليث: ما التَّعْنَى علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه.. وما كان العلماء عنده إلا تلامذة.

* * *

وكانَتْ المديْنَةُ فِي عَهْدِ وَلَايَةِ عمرِ بْنِ عبدِ الْعَزِيزِ وَاحِدَةً، يَحْفُظُهَا الْعَدْلُ وَالرَّحْمَةُ وَالسَّكِينَةُ، وَسَطَ جَحِيمُ مَظَالِمِ وَلَايَةِ الْأَمْصَارِ، وَجَعَلَهَا عمرٌ مَتَابَةً يَقْصِدُهَا الْهَارِبُونَ مِنْ جُورِ الْوَلَاةِ فِي أَقْطَارِ الدُّولَةِ.

ولو أَنْ عمرَ اكْتَفَى بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي إِمَارَتِهِ، وَوَفَرَ لِلنَّاسِ فِيهَا الْحُرْيَةُ وَالْأَمْنُ وَالطَّمَانِيَّةُ لِكَفَاهُ ذَلِكُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُعْلِنُ عَنْ رَأِيهِ فِي وَلَايَةِ الْأَمْصَارِ، فَهُوَ يَكْتُبُ إِلَى الْخَلِيفَةِ عَنِ الْمَحَاجَاجِ فَيَقُولُ:

لَوْ جَاءَتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِخَطَايَاها يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَجَئْنَا نَحْنُ بِالْمَحَاجَاجِ وَحْدَهُ، لَرَجَحَنَا هَا جَمِيعًا.

وَلَا أَنَّابُ الْوَلِيدَ بْنَ عبدِ الْمَلِكِ الْمَحَاجَاجَ لِيَحْجُجَ بِالنَّاسِ، كَتَبَ عمرٌ إِلَى الْوَلِيدِ، يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَأْمُرَ الْمَحَاجَاجَ أَلَا يَمْرُ بِالمَدِينَةِ وَلَا يَذْهَبَ إِلَيْهَا. فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى الْمَحَاجَاجِ يَقُولُ:

إِنَّ عمرَ بْنَ عبدِ الْعَزِيزَ كَتَبَ إِلَيَّ يَسْتَعْفِفُنِي مِنْ مَرْكُ

عليه بالمدينة ، فلا عليك ألا تمر بن يكرهك ، فـَنْجُونْ نفسك عن
المدينة .

يفعل عمر ذلك ، وهو يعلم مكانة الحجاج في دولة بني
آمية .

* * *

تَفَرَّدَتْ المدينة في عهد ولاية عمر دون سائر الولايات
بالمحرية ، في نقد حكام دولة بني آمية ، حتى أصبحت مأوى
لعارضي الدولة ، ولم يكن من الممكن أن يتحمل الخليفة
وأعوانه هذا النَّهْجَ من الحكم .

روى الحافظ ابن كثير عن الزهرى ، قال : قال عمر بن
عبد العزىز : بَعَثَ إِلَيَّ الوليد ذات ساعة من الظَّهِيرَةِ ،
فدخلت عليه ، فإذا هو عابس ، فأشار إِلَيَّ أَنْ اجلسَ
فجلست . فقال : ما تقول فيمن يُبَشِّرُ الْخَلْفَاءِ ؟ أَيْقُتَلُ ؟
فَسَكَتَ .. ثُمَّ عاد ، فقلت : أَقْتَلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : لا .
ولكن سب . فقلت : يتكلّم به ، فغضب ، وانصرف إلى أهله .

وقال ابن الريان السياف : إذهب .. قال : فخرجت من
عنه ، وما تَهَبُ ريح ، إلا وأنا أظن أنه رسول يرْدُنِي إليه .
ويُروى أن ابن الريان قال لعمر : تقول لأمير المؤمنين : ما

أُرِيَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَشْتَمَ كَمَا شَتَمْتَكَ؟ وَاللَّهُ لَقَدْ كَنْتَ مُتَوَقِّعًا
أَنْ يَأْمُرَنِي بِضَرْبِ عَنْقِكَ.

فَالْعَمَرُ : لَوْ أُمِرْتُ لِفَعَلْتُ؟

فَالْعَمَرُ : إِنِّي وَاللَّهُ لَوْ أُمِرْتُ لِفَعَلْتُ.

فَلَمَّا تَوَلَّ عَمَرُ الْخَلَافَةَ، اسْتَدْعَى أَبْنَى الرِّيَانَ وَعَزَّلَهُ عَنِ
الْمَحْرُسِ وَقَالَ لَهُ : يَا خَالِدَ ، ضُعِّفْ هَذَا السِيفُ عَنْكَ.. اللَّهُمَّ إِنِّي
قَدْ وَضَعْتُ لَكَ خَالِدَ بْنَ الرِّيَانَ ، اللَّهُمَّ لَا تَرْفَعْهُ أَيْدِيًّا ، وَوَلِّ
عَلَى الْمَحْرُسِ عَمَرَ بْنَ مَهَاجِرَ الْأَنْصَارِيَّ.

★ ★

وَتَوَلَّتِ الْمَجَاجُ كِيرٌ إِزَاحَةً عَمَرَ عَنِ وِلَايَةِ الْمَدِينَةِ ، وَأَفْهَمَ
الْخَلِيفَةِ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، أَنَّ الْمَدِينَةَ أَصْبَحَتْ خَطَرًا عَلَى
سُلْطَانِ بَنِي أَوْمَيَّةَ ، فَبَعَثَ الْوَلِيدَ إِلَى عَمَرَ يَسْأَلُهُ عَنِ دُعَوِيِّ
الْمَجَاجِ ، فَرَدَ عَلَيْهِ عَمَرُ رَدًا عَنِيفًا ، يُذَكِّرُهُ بِمُظَالَمِ الْمَجَاجِ
وَغَيْرِهِ مِنْ وِلَاةِ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ .. وَقَالَ فِي حُكْمَابِهِ لِلْوَلِيدِ :

«لَوْ جَاءَتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِخَطَايَاها يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَجَعَنَا نَحْنُ
بِالْمَجَاجِ وَحْدَهُ لِرِجْحَنَاها جَيْعًا».

وَأَصْدَرَ الْوَلِيدُ أَمْرَهُ بِعَزْلِ عَمَرٍ عَنِ وِلَايَةِ الْمَجَاجِ ،
فَغَادَرَهَا إِلَى الشَّامَ ، بَعْدَ أَنْ لَبِثَ فِي وِلَايَتِهِ سَتَّةِ أَعْوَامٍ.

★ ★ ★

مع سليمان :

وبيوت الوليد بن عبد الملك ، ويختلفه أخوه سليمان ،
فاستبقى سليمان ابن عمه عمر معه في دمشق ، وكان يكن له
كثيراً من الحب والتقدير ، وكان عمر في صحبته لسليمان نعم
الناصح الأمين ..

أمام أحد معسكرات الجيش ، وقف الخليفة سليمان بن
عبد الملك مزهوحاً بما يرى من عتاد ورجال ، فسأل عمر :
ما تقول في هذا الذي ترى يا عمر ؟

قال عمر :

بل ما أعجب من عرف الله فعنه ، وعرف الشيطان
فأتبّعه ، وعرف الدنيا فركن إليها .

وفي الحج وقف سليمان وعمر بعرفة ، ورأى سليمان كثرة
الناس ، فقال له عمر : هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم خصومك
يوم القيمة .

فبكى سليمان ، وقال : بالله نستعين .

★ ★ ★

وفي مرة أزعدت الدنيا ، وأمطرت ، ففرغ سليمان وضحك
عمر .

فقال له: أتَضْحِكُ؟

فقال عمر: يا أمير المؤمنين، هذه رحمة الله قد أَفْرَغْتَكَ،
كيف لو جاءك عذابه.

★ ★ ★

وذكر الإمام مالك، أن سليمان وعمر تَقَاوَلَاً مِرْأَةً، ف قال له
سليمان، في جملة الكلام: كَذَبْتَ.

فقال عمر: تقول كَذَبْتَ!! والله ما كَذَبْتَ، فقد عرفت
أن الكَذَبْ يُضِيرُ أهله.. ثم هَجَرَهُ عمر، وعزم على الرحيل
إلى مصر، فلم يُعْكِنْهُ سليمان، ثم بعث إِلَيْهِ فصالحة، وقال له:
ما عُرِضَ عَلَى أَمْرٍ يَهْمِنِي، إِلَّا خَطَرَتْ عَلَى بَالِي.

★ ★ ★

أمير المؤمنين:

لَا مَرِضَ سليمان بن عبد الملك، وَأَحْسَنَ بِقَرْبِ مَيْتَهِ،
شَغَلَهُ أَمْرُ الْخَلَافَةِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌ لِلْعَهْدِ بَعْدَ مَوْتِ إِبْرَاهِيمَ
أَيُوبَ، وَبِقِيَّةِ بَنِيهِ صَفَارٌ لَا يَصْلُحُونَ، فَقَالَ لَهُ رَجَاءُ بْنُ
حَيْوَةِ:

إِنَّ مَا يَخْفَظُكَ فِي قَبْرِكَ، وَيَشْفَعُ لَكَ فِي أَخْرَاكَ، أَنْ
تَسْتَعْلِمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ رَجُلًا صَالِحًا.

قال سليمان: ومن عاه يكون؟

قال رجاء: عمر بن عبد العزيز.

فقال سليمان: رضيتك.. والله لا أعقدن لهم عقداً، لا يكون للشيطان فيه نصيب.. ثم كتب العهد، وكلّف رجاء أن ينفذه دون أن يعلم أحد بما فيه، حتى ولا عمر.

ومات سليمان، ونفذ رجاء بن حبيبة العهد، فأخذ البيعة لعمر وهو لها كاره، وفي الغداة صعد عمر المنبر، وقد تجمع المسلمون في المسجد، فقال:

لقد ابتعثت بهذا الأمر على غير رأي مني فيه، وعلى غير مشورة من المسلمين، وإني أخلع بيعة من بايعني، فاختاروا لأنفسكم.

فت صالح المسلمون: بل إياك اختار.. يا أمير المؤمنين..
فبكى عمر.

★ ★ ★

رد المظالم:

بعد أن أعاد عمر للحكم تصوره الإسلامي الصحيح، بدأ عهده - منذ أول يوم -، برفض كل مظاهر الملك التي كانت لمن قبله من الخلفاء: القصور والحرس والزينة والأموال..

وأقام في بيت متواضع بين الناس ، بلا حرس ولا حجاب ..
وتُتَضَّح حاله هذا البيت من هذه القصة :

قدِمَتْ امرأة من العراق إلى دمشق ، فسألت عن بيت أمير المؤمنين ، حتى صارت على بابه ، فقالت : أليس على بابه حاجب ؟ قالوا : لا ، فادخلني إن أحببت ، فدخلت ، فوجدت فاطمة زوجة أمير المؤمنين جالسة تُعْمَل ، فسلمت عليها ، ثم تأملت البيت ، فلم تجد أثناً ولا شيئاً ذا بال يليق بعمام أمير المؤمنين ، فقالت لفاطمة : إنما جئت من العراق ، لأعمر بيتي من هذا البيت الحَرَب ؟

فقالت فاطمة : إنما خَرَبَ هذا البيت ، عماره بيت
أمثالك .

* * *

بدأ عمر بن نفسه في رد المظالم ، فتنازل عن أملاكه التي ورثها عن أبيه ، والتي أقطعها إياه الخلفاء ، وكانت تدر عليه ما يُقدر بأربعين ألف دينار في العام ، واحتفظ بقطعة أرض كان اشتراها من عطائه ، وكان إيرادها نحو مائتي دينار في العام ، جعلها لنفقة ونفقة أولاده ، ورفض أن يأخذ راتباً من بيت المال .

وكانت « فدك » قرية بخمير ، وكانت فيئاً لرسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فكانت للفقراء والمساكين وابن السبيل ، واستمر حالها كذلك في عهد الخلفاء الراشدين ، فلما جاء معاوية وهبها مروان بن الحكم ، ثم تداووها أولاده ، حتى انتهت إلى عمر بن عبد العزيز ، قبل أن يلي الخلافة ، فلما ولي الخلافة ، تنازل عنها وأعادها إلى ما كانت عليه .. وقد خطب فقال :

إن فدك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
يضعها حيث أراد الله ، ثم ولتها أبو بكر وعمر كذلك ، ثم إن
مروان أقطعها ، فحصل لي منها نصيب ، ووهبني الوليد
وسلميان نصيبها ، ولم يكن من مالي شيء أرده أغلى منها ،
وقد ردتها في بيت المال ، على ما كانت عليه في زمان رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وكانت زوجه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، وكان
أبوها قد أهداها جواهر ، لم يُرِ مثلها ولا تُقدر بمال ، فقال لها
عمر :

اختاري ، إما أن تردي حليّك إلى بيت المال ، وإما أن
تؤذني لي في فرائنك ، فإني أكره أن أكون أنا وأنت ومعك

هذه الجواهر في بيت واحد.. فأنتم تعلمون من أين أنني
أبوك بتلك الجواهر.

قالت: لا. بل اختارك يا أمير المؤمنين عليها ، وعلى
أخضعها لو كانت لي.

فأمر عمر بتلك الجواهر ، فوضعها في بيت المال.

* * *

قال الحافظ ابن كثير ، في سيرة عمر بن عبد العزيز ، بعد
أن ذكر قصة فدك:

فيئس الناس عند ذلك من المظالم ، ثم أمر بأموال جماعة
من بنى أمية فردها إلى بيت المال ، وسمّاها أموال المظالم ،
فاستشفعوا إليه بالناس ، وتسلّوا إليه بعمته فاطمة بنت
مروان ، فلم ينجح فيه شيء ، وقال لهم:

لتدعوني ، وإلا ذهبت إلى مكة ، فنزلت عن هذا الأمر
لأحق الناس به .. والله لو أقمت فيكم خمسين عاماً ، ما أقمت
فيكم إلا ما أريد من العدل.

وقد اجتهد رحمة الله في مدة ولايته - مع قصرها -
حتى رد المظالم ، وصرف إلى كل ذي حق حقه ، وكان مناديه
في كل يوم ينادي: أين الغارمون ، أين الناكعون ، أين
المساكين ، أين اليتامي؟ حتى أغنى كلاماً من هؤلاء .

وجاء في سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم:

جلس عمر للناس بعد ثلاثة أيام من توليه الخلافة، وحملهم على شريعة الحق، فرد المظالم، وأحيا الكتاب والسنّة، وسار بالعدل، ورفض الدنيا ورده فيها، وتجزّد لحياة أمر الله.. فأخذ القطائع من أيدي قرابةه، وردها إلى أموال المسلمين، ومنهم الامتيازات التي أجرأها عليهم الخلفاء من قبله، فها جوا وعارضوه، ولكنه لم يأبه لهم.

★ ★ ★

وتتضح نظرته إلى الخلافة وإحساسه بعدي مسؤوليتها، من هذا الكتاب الذي بعث به إلى جميع عماله بالأقاليم:

«أما بعد، فإن سليمان بن عبد الملك، كان عبداً من عبد الله، أتعم الله عليه ثم قبضه واستخلفني، وإن الذي ولاني الله من ذلك وقدر لي، ليس عليٌ بهم، ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج واقتناء أموال، كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل مبلغ بأحد من خلقه.. وأنا أخاف فيما ابتليت به حساباً شديداً، ومسألة عظيمة، إلا ما عافاني الله ورحم..»

وكان شديد الحرص على أن تكون بطانته من خير رعيته، تفّى وفقها، وكان يخطب، فيقول:

من أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخنس: يُوصل إلينا حاجة من لا تصل إلينا حاجته، ويدلُّنا من العدل إلى مالا نهدي إليه، ويكون عوناً لنا على الحق، ويؤدي الأمانة إلينا وإلى الناس، ولا يغتاب عندنا أحداً. ومن لم يفعل فهو في حرج من صحبتنا، والدخول علينا.

كما حرص على أن يكون ولاته وعماله بالأقطار الإسلامية، من أهل الأمانة والورع، وكان يلزمهم العمل وفق مبادئ الإسلام، ومحاسبهم على ذلك حساباً عسيراً.. وكان يخطب في مواسم الحج، فيقول:

.. ألا وأي عامل من عالي رغب عن الحق، ولم يعمل بالكتاب والسنّة، فلا طاعة له عليكم، وقد صررت أمره إليكم. حتى يراجع الحق وهو ذميم.

★ ★ ★

سياسة المالية:

ذكر الطبرى في « تاريخ الأمم والملوك »:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لسلمان الفارسي:
أملك أنا ، أم خليفة؟

قال سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو

أقل أو أكثر، ثم وضعه في غير حقه، فأنت ملك غير خليفة.

فاستعبر عمر ..

وكان كأن قول سليمان، هو الميزان الذي يزن به عمر بن عبد العزيز كل ما يمس أموال المسلمين، فلا يستطيع أحد أن يُخصي عليه أنه جبي درهماً واحداً، ثم وضعه في غير حقه .. بل إن سيرته زاخرة بالمثل، التي قد يعدها بعض الناس تزمناً لا داعي له.

من هذه المثل، ما ذكره الحافظ ابن كثير في «سيرته»،

قال:

دخل عمر بن عبد العزيز على امرأته يوماً، فسألهما أن تُفرضه درهماً، يشتري به عنباً، فلم يجد عندها شيئاً .. فقالت له:

أنت أمير المؤمنين وليس في خزانتك ما تشتري به عنباً؟

فقال: هذا أيسر من معالجة الأغلال والانكال جداً في

جهنم.

وبعث يوماً غلاماً ل Yoshi له لحمة، فجاء بها سريعاً مشوية، فقال: أين شويتها؟ قال: في المطبخ .. فقال: في مطبخ المسلمين؟ قال: نعم. قال: كلها، فإني لم أرزقها، هي رزقك.

وَسَخْنُوا لِهِ الْمَاءُ فِي الْمَطْبَخِ الْعَامِ، فَرَدَّ بَدْلَ ذَلِكَ بِدِرْهَمٍ
حَطْبًا.

وَكَانَ لَهُ سَرَاجٌ يَكْتُبُ عَلَيْهِ حِوَائِجَهُ، وَسَرَاجٌ لِبَيْتِ
الْمَالِ، يَكْتُبُ عَلَيْهِ مَصَالِحَ الْمُسْلِمِينَ، لَا يَكْتُبُ عَلَى ضَوْئِهِ لِنَفْسِهِ
حِرْفًا.

وَأَهْدَى إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ تَفَاحًا، فَاسْتَشْهَدَهُ، ثُمَّ رَدَهُ
مَعَ الرَّسُولِ، وَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُ أَنْدَلَعَتْ مَحْلُهَا.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْبِلُ الْهُدَى، وَهَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ.

فَقَالَ: إِنَّ الْهُدَى كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
هُدَىً، قَائِمًا نَحْنُ فِيهِ لَنَا رِشْوَةٌ.

وَكَانَ يُوَسِّعُ عَلَى عَمَالِهِ فِي النَّفَقَةِ، يَعْطِي الرَّجُلَ مِنْهُمْ فِي
الشَّهْرِ مِائَةَ دِينَارٍ وَمِئَيْ دِينَارٍ، وَكَانَ يَتَأَوَّلُ أَنْهُمْ إِذَا كَانُوا فِي
كَفَايَةٍ، تَفَرَّغُوا لِأَشْغَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَبِيلَ لَهُ: لَوْ أَنْفَقْتُ عَلَى
عِبَالِكَ كَمَا تَنْفَقُ عَلَى عِبَالِكَ؟

فَقَالَ: لَا أَمْنِعُهُمْ حَقًا لَهُمْ، وَلَا أَعْطِيهِمْ حَقًّا غَيْرَهُمْ.

★ ★

قَالَ لِزَوْجِهِ يَوْمًا: تَشْتَهِي نَفْسِي عَسلَ لِبَنَانِ.
فَأَرْسَلَتْ فَاطِمَةَ إِلَى ابْنِ مَعْدُودٍ يَكْرَبُ عَامِلَ لِبَنَانِ،

وذكرت له أن أمير المؤمنين قد تَهَمَّ عسل لبنان.. فأرسل إليها بعسل كثير.

فلم رأه عمر غضب، وقال لها:
كأني بك يا فاطمة قد بعثت إلى ابن معد يكرب، فأرسل لك هذا العسل؟

ثم أخرج العسل إلى السوق، فبيع، وأدخل ثمنه بيت المال.

وبعث إلى عامله على لبنان يعنقه ويقول له: لو عدت لثلها، فلن تلي لي عملاً أبداً، ولا أنظر إلى وجهك.

* * *

وبلעה أن أحد أولاده اشتري خاتماً له قص بـ ألف درهم، فكتب يعنقه، ويقول له:

بعه وأشبع بثمنه ألف جائع.. واشتر بدلًا منه خاتماً من حديد، واكتب عليه: رَحِيمُ اللَّهِ امْرُءٌ أَعْرَفُ قَدْرَ نَفْسِهِ.

* * *

وحدد عمر الحد الأدنى لمستوى معيشة الفرد.. فكتب إلى أمراء الأمصار يقول:

لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوي إليه، وخدم يكفيه مهنته، وفرس مجاهد عليه عدوه، وأثاث في بيته.

وكان يكتب إلى عماله للقيام بسداد الديون عن
المحتاجين ، وتزويع من لا يقدر على الزواج .

وبلغ من حرصه على ضبط إنفاق المال العام ، أنه لما
طلب منه أن يأمر بكسوة الكعبة - كما جرت العادة بذلك
كل عام - ، إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة ، فإنه
أولى بذلك من البيت .

* * *

وكما حرص عمر على أن يضع كل درهم من المال العام ،
في موضعه الذي فرضه الإسلام ، فقد حرص على أن يكون
الدخل العام للدولة ، حلاً طيباً ، ليس فيه ظلم ولا
إجحاف .. فألقى الضرائب الظالمه .. وكان منها الجزية التي
أبقاها من كان قبله ، على أهل الكتاب الذين يعتنقون
الإسلام ، مع أن الإسلام يضعها عنهم فور إسلامهم .. فجاء
عمر فألقاها ، وقال قوله العظيمة :

«إن الله بعث محمدًا هادياً ، ولم يبعثه جابياً».

وأرسل إليه عديٌ بن أرطأة واليه على العراق ، يقول :
«إن الناس قد دخلوا في الإسلام أفواجاً ، حتى خشيت
أن تقلُّ الخراج» .

فكتب إليه عمر ، يقول :

والله لوددت أن الناس كلهم يسلمون ، حتى تكون أنا
وأنت حَرَاثِينَ نأكلُ مِنْ كسبِ أَيْدِينَا » .

وكتب إلى واليه على اليمن ، يقول :

« أما بعد .. فقد كتبت إلى تذكرة أنك قدمت اليمن ،
فوجدت على أهلها ضريبة من الخراج ثابتة في أعناقهم ،
كالجزية يُودُّونَها على كل مال .. إن أخصبوا أو أجدبوا .. إن
حيوا أو ماتوا . فسبحان الله رب العالمين !!

إذا أتاك كتابي هذا ، فدع ما تskره من الباطل إلى ما
تعرفه من الحق .

واعلم : أنك إن لم ترفع إلى من جميع اليمن إلا حفنة من
كم - نبات يُصنع منه المداد - ، فقد علم الله أنني سأكون بها
مسروراً .. ما دام في ذلك إبقاء للحق والعدل » .

★ ★ ★

وبلغت هذه السياسة المالية غايتها في عهده القصير ،
فذكر مؤرخو سيرته ، أنه قضى على الفقر في جميع أنحاء
الدولة الإسلامية ، أو كاد ..

قال رجل من ولد زيد بن الخطاب :

إنما ولـي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً ، فهما مات حتى
جعل الرجل يأتيـنا بالمال العظيم ، فيقول : أجعلـوا هـذا حيث

ترون في القراء .. فما يترجح حتى يرجع عاله ، يبحث عن
يعطيه لها بجد .. فيرجع عاله .. قد أغنى الله الناس على يد
عمر .

وقال مجبي بن سعيد: بعثني عمر بن عبد العزيز على
صدقات إفريقيا ، فجمعتها ، وطلبت فقراء نعطيها لهم ، فلم
نجد بها فقيراً ، ولم نجد من يأخذها .. قد أغنى عمر الناس ..
فأشترطت بها رقاباً ، فأعتقتهم .

★ ★ ★

قالوا عنه:

قال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان
وعليٌّ وعمر بن عبد العزيز .. من قال غير هذا فقد اعتقد .
وقال وهب بن منبه: إن كان في هذه الأمة مهديٌّ ، فهو
عمر بن عبد العزيز .

وقال الحافظ ابن كثير: وأجمع العلماء قاطبةً ، على أن
عمر بن عبد العزيز من أئمَّة العدل ، وأحد الخلفاء الراشدين
والأئمَّة المهديةين .

وقال مالك بن دينار: يقولون: مالك زاهد ، أيُّ زهد
عندِي؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا فاغرَّهَا
فاها ، فتركها جملةً .

وتناظر أبو سليمان الداراني وأبو صفوان، في عمر بن عبد العزيز وأويس القرني.. فقال أبو سليمان: كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس.. قال أبو صفوان: ولم؟ قال لأن عمر ملك الدنيا، فزهد فيها. فقال أبو صفوان: وأويس لو ملكها، لزهد فيها مثل ما فعل عمر.. فقال أبو سليمان: لا تجعل من حرب كمن لم يحرب، إن من جرت الدنيا على يديه، ليس لها في قلبه موقع، أفضل من لم تجر على يديه، وإن لم يكن لها في قلبه موضع.

وقال علي بن زيد: ما رأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا
لهم، مثل الحسن وعمر بن العزيز.

وقالت زوجه فاطمة: ما رأيت أحداً أكثر صلاة ولا
صياماً منه، ولا أحداً أشد فرقاً من ربه منه، كان يصلّي
العشاء، ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيشه.

وقال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر:
أكتب سيرة عمر حتى أعمل بها. فقال له سالم: إنك لا
تستطيع ذلك. قال ولم؟ قال: إن عمر رضي الله عنه، عمل
في غير زمانك. وعمل بغير رجالك. وإنك إن عملت في
زمانك، على النحو الذي عمل به عمر بن الخطاب، كتب
أفضل من عمر.. لأنه كان يجد على الخير أعوناً، وأنت لا
تجد من يعينك على الخير.

وقال: بل جزى الله الإسلام خيراً..

فقال: بل جزى الله الإسلام عن خيراً.

ولعل من أصدق ما قيل فيه، ما قاله أحد رجال بني أمية: لقد جاءكم عمر بن الخطاب، ملفوفاً في ثياب عمر بن عبد العزيز ..

★ ★ ★

ومرض أمير المؤمنين، قيل: إنه مرض بصدره وقيل:
إنهم دسوا له السم في طعام أو شراب، والله أعلم أي ذلك
كان، ولما اشتد به المرض، جاءه ابن عمّه سلمة بن عبد
الملك، فقال له:

يا أمير المؤمنين، ألا تُوصي لأولادك، فإنهم كثيرون،
وقد أفترتهم، ولم تترك لهم شيئاً.

فقال عمر: وهل أملك شيئاً أوصي لهم به؟ أم تأمرني أن
أعطيهم من مال المسلمين؟ والله لا أعطيهم حق أحد.. وهم
بين رجليين: إما أن يكونوا صالحين، فالله يتولاهم. وإما غير
صالحين، فلا أدع لهم ما يستعينون به على معصية الله..
ودعا أولاده، فقال لهم:

إن أباكم خير بين أمراء: بين أن تستغنووا، ويدخلوا
أبواكم النار، أو تفتقروا ويدخلوا أبوكم الجنة، فكان أن

تفتقروا ويدخل الجنة ، أحب إليه من أن تستغنو ويدخل النار .. قوموا عصكم الله ..

ثم قال لأهله: اخرجوا عني ، فخرجوا .. وجلس على الباب مسلمة بن عبد الملك وأخته فاطمة ، فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان ، ثم قرأ:

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾

ثم هدأ الصوت ، فدخلوا عليه ، فوجدوه قد مات .
رضي الله عنه وأرضاه .

* * *